﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران: 148]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقة بين طلب الغفران والتّمكين، وبين تلبيّة المطلوب، وتحقيق المرغوب

لمّا تقدَّم في دعائهم ما يتضمَّن طلب الغفران، وتثبيت الأقدام، والنّصر على الأعداء الباغين، وذلك قوام الدّنيا والآخرة، ناسب ذلك أن يخبرهم الله، بأنّه لبّى طلبهم، واستجاب دعاءهم، فآتاهم ثواب الدّنيا، بالنّصر على أعدائهم، والتّمكين في الأرض، وضمان الكرامة في كلّ الأحوال، مع الذِّكر الحسن بين النّاس؛ وأحبّهم الله لأنّهم محسنون في الأساس، كما آتاهم ثواب الآخرة، بالفوز برضوان الله ورحمته، وذلك في البداية والنّهاية، هو المأمول، وغاية السّول.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾: الثَّواب: الجَزَاءُ على الْعَمَلِ، والثَّوابُ مِن الله (ﷻ)، هو ما يعطيكه على ما عَمِلْتَهُ مِن خَيْرٍ أَو شَرٍّ، وهو أيضًا: ما يَرجِعُ على المُحْسِنِ مِن إِحْسَانِه، وعلى المُسيءِ مِن إِساءتِه[1]، وفي هذا المعنى قال حسّان بن ثابت:

وَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ***جِنَانٌ مِن الفِردوسِ فِيها يُخَلَّدُ[2]

والثّواب هاهنا أقرب الألفاظ إلى توخّي المرغوب، لأنّه كائن من الله، وهو آنس لمن يحظى به، ويفوز بنعمته، وينال حظّه منه.

2) ﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: الحُسن: الزِّينة والجمال. وأصلُه: نقاء الشَّيء وصفاؤه. ويأتي بمعنى الجودة، يُقال: حسن الشَّيء،

(1) ابن دريد، وجمهرة اللغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سيده، المحكم: (ثوب).

(2) البيت من ديوان حسّان بن ثابت، ص: 339، وشرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك: 2/207، وأبو بكر الأنباري، الزاهر: 1/503، ولسان العرب: 6/503.

يحسن، حسنًا، أي: صار جيدًا. وضِده: القُبح والسُّوء[1]، ومعنى العبارة أنّ حسن ثواب الآخرة غير حسن ثواب الدّنيا، "وهو الفوز برضا ربّهم، والنّعيم المقيم الّذي قد سلم من جميع المنكرات، وما ذاك إلّا أنّهم أحسنوا له الأعمال، فجزاهم أحسن الجزاء"[2]، وثواب الآخرة منتهى أمل المؤمنين، لأنّه عطاء بلا حساب، ومتعة بلا تنغيص.

3) ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الإِحْسانُ: الإِتْيانُ بِما هو حَسَنٌ، يُقال: أَحْسَنَ فُلانٌ، يُحْسِنُ، إِحْسانًا، أيْ: أَتَى بِشَيْءٍ حَسَنٍ. والحَسَنُ: الجَيِّدُ، وضِدُّهُ: القَبِيحُ والسّيِّئُ. ويأْتي بِمعنى الإِتْقانِ والإِجادَةِ، وضِدُّه: الإِساءَةُ[3]، والإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علّم علمًا حسنًا، أو عمل عملًا حسنًا، وعلى هذا قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: (الناس أبناء ما يحسنون) أي: منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ثـــواب الـلـه للمؤمنين إغداقٌ بـالـعـطـاء في الدّنيا، ونعيمٌ لا حدّ له في الآخرة

الآية بيان لثواب الله في الدُّنيا للمؤمنين المتضرّعين، وإكرامهم بالنّصر المبين، وما حازوه من الغنائم النّفيسة، وقد قهر الله أعداءهم، وأكسبهم هيبة وعزوة، بنعيمه الرّاقي الثّمين، في جنّات الخلود والعطاء واليقين، وقد آتاهم نعيمًا خالصًا، غير مشوب بتنغيص ولا قلق ولا مكدّرات، جزاء إحسانهم في الدّنيا، والله يحبُّ المحسِنين من عباده الصّالحين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

براعة اللَّفِّ والنَّشر:

لمَّا طلبوا في دعائهم طلب ثواب الآخرة في قولهم: ﴿ٱغْفِرْ لَنَا

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (حسن).
(2) الكواري، تفسير غريب القرآن، ص: 148.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (حسن).
(4) الراغب، المفردات (حسن).

ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾، ثمَّ طلبوا ما يتضمَّن ثواب الدنيا في قولهم ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا﴾، عدلَ عن التّرتيب المذكور في إجابة دعائهم، فأعطاهم مقدَّمًا ثوابَ الدّنيا لحاجتِهم الآنيَّة إليه، وللتَّعجيل بمسرَّتِهم، وليكون ذلك إشعارا لهم بقبول دعائهم وإجابتهم إلى طلبهم، ثمَّ أحسن لهم ثواب الآخرة، فأعطاهم الثَّوابين[1].

تعجيل ثواب الدنيا والإشعار بنيل ثواب الآخرة

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾:

أفادت الفاء السببيّة بمعنى ترتّب إعطائهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة على دعائهم وصبرِهم وإخلاصِهم لربِّهم، وأفادت تعجيل قبول الدعاء والاستجابة لطلبِهم بدلالتها على التّعقيب[2].

الإعلام بتعجيل إجابة دعوتهم ونيلهم مُرادهم وبغيتهم

مجيء الكلامِ على خلاف مقتضى الظّاهر:

عبّر بصيغة الفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ مع أنَّ حسن ثواب الآخرة يكون في المستقبل؛ لإفادة القطع بحصول الطلب في الدُّنيا والآخرة، وللإيذان بأنَّ الله قد حكم بقبول دعائهم، فأقام حكم الله بذلك مقام نفس الحصول، ويحتمل أن يكون مجازًا مرسلًا باعتبار ما سيكون عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِ: أَتى أَمْرُ اللَّهِ [النَّحل: 1] أَيْ سَيَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ[3]، والمعنى في الآية (سيؤتيهم ثوابَ الدنيا وحسن ثواب الآخرة) أو يقال: إنّ التّعبير بصيغة الماضي في إيتائهم ثواب الآخرة بالنّظر إلى تهيئة أسبابِه بتوفيقِهم إليها فيكون التّعبير بطريق المجاز[4]، وجميعُ هذه الاحتمالات هي من قبيل مجيء الكلام على خلافِ مقتضى الظّاهر

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/374.
(2) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 2/42، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/97.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/382.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 5/88.

دلالة قوله تعالى: ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ و﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ﴾:

لمّا كان السياق في الكلام على الثبات في القتال دلَّ على أنَّ المرادَ من ثواب الدنيا هو النَّصر والغنيمة والعزِّ وطِيب الذِّكر، والمراد من قوله ﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ﴾ الجنَّة والنَّعيم المخلَّد في الآخرة، فتخصيص ثواب الدنيا وحسنَ ثواب الآخرة بما ذُكِرَ جاء بمعونة المقامِ وقرينةِ السّياق[1].

نُكتة وَصْفِ ثواب الآخرة بالحُسْنِ وتَرْكِهِ في وصف الدُّنيا:

الإشعارُ بفضل ثــواب الآخــرة وتَقَدُّمِهِ

إذا كان ثواب الآخرة كلُّه حسنًا، فما المناسبة في تخصيصه بالحسن هنا؟، وجوابه أنَّه لمّا جاء ذكر ثواب الآخرة في مقابلة ثواب الدّنيا كانَ تخصيصُ ثوابِ الآخِرة بالحُسن؛ للدَّلالة على فضلِه وأنَّه هو المعتدُّ به؛ ولإفادة أنَّ ثواب الآخرة منازل ومراتب في الحسن، ولمَّا كان ثواب الدنيا كيف ما كان لا بد أن يكون بالكدر مشوباً وبالبلاء مصحوباً، لأنها دار الأكدار؛ أعراه من وصف الحسن، وخص الآخرة به[2].

فائدة الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾:

أظهر الثواب هنا، فوضع الظّاهر موقع المضمر تنبيهًا على المغايرة بين الثَّوابين، وللاعتناء بشأنِ ثواب الآخرة[3].

بديع المقابلة في الآية الكريمة:

في الجمع بين ثواب الدُّنيا وحسنِ ثواب الآخرة مُقابلة بديعة، ففيها إشعار بأنّهم أَرَادُوا بِعَمَلِهِمْ سَعَادَةَ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا الْجَزَاءُ عَلَى حُسْنِ الْإِرَادَةِ، وإيذانٌ بأنَّ شأن المؤمن أنْ يجمع بينَ ثواب الدّنيا والآخرة، وتنبيهٌ على أنَّ توصيف ثواب الآخرة بالحسن مؤذن بأنَّ ثواب الدنيا بالنسبة إليه ليس بحسن لزواله ولأنّه مشوب بالكدر، وإن كان حسنًا بميلِ الطبعِ له[4].

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/352.
(2) الرَّاغب: تفسير الرَّاغب: 3/902، والرّازي: مفاتيح الغيب: 9/382، والبقاعي، نظم الدرر: 5/88.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/353.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/353، ورضا، تفسير المنار: 4/143.

حسنُ التَّذييل في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

في جملة التّذييل فوائد لغوية وبلاغية هي[1]:

1. أفاد التّعبير بالجملة الاسمية تأكيد محبّة الله للمحسنين وتقريره كما أنَّ مجيء خبر المبتدأ جملة فعليّة أفاد تقوية الحكم، فهو على معنى تكرّر الاسم الجليل مرّتين، إحداهما بالاسم الظّاهر والأخرى بمجيئه بصيغة الضمير في (يحبُّ)، فيكون الكلام على نيَّة تكرير الجملة مرّتين.

2. دلَّ التّعبير بصيغة المضارع على استمرارِ محبّة الله للمحسنين وتجدّد آثارِها عندهم.

3. جاء اللّفظ (المحسنين) على صيغة المشتقِّ للإشعار بأنَّ علَّة محبّة الله لهم هي إحسانهم المطلق.

4. أشعرَت الجملة أنَّ الرّبيّين لَمَّا اعْتَرَفُوا بالإساءة سَمَّاهُمُ اللَّهُ مُحْسِنِينَ، كأنَّ الله يقول لهم إِذَا اعْتَرَفْتَ بِإِسَاءَتِكَ وَعَجْزِكَ فأنت من المحسنين، حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْعَبْدِ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى حَضْرَةِ اللَّهِ إِلَّا بِإِظْهَارِ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالْعَجْزِ

5. تضمّن التّذييل ترغيب للمؤمنين في تحصيل ما حكى عن الرّبيّين من المناقب الجليلة

6. وضع الظَّاهر ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ موضع ضمير المعهودين؛ وذلك للإشعار بأنَّ ما حُكي عنهم من الأقوال والأفعال من باب الإحسان

7. تحتمل (أل) أن تكون عهدية، فيكون المراد من المحسنين الرّبيّين المذكورين في الكلام، وَوُضِعَ الظَّاهر مَوْضِعَ المضمر إيذانًا بأنَّ ما حكى عنهم من باب الإحسان، وتحتمل أن تكون للجنسِ فتفيد الاستغراق بمعنى محبّة الله لكلِّ محسنٍ، وهم داخلون فيه دخولاً أوليّاً

8. لَمَّا كان المعنى على العمومِ والكلّيّة دلَّ على أنّه يجري مجرى المثل في محبَّة الله لكلِّ مُحسن.

9. جرى هذا التّذييل في معرض التَّعليل ناظرًا إلَى معنى قوله: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرَّحمن: 60]

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/383، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/97، وابن التَّمجيد: حاشية ابن التَّمجيد على البيضاوي: 6/352، والآلوسي، روح المعاني: 2/299، والقاسمي، محاسن التأويل: 2/413، وابن عاشور: التَّحرير والتَّنوير: 4/121.

توجيه المتشابه اللَّفظي هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: 145]:

قال فيما تَقَدَّمَ: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: 145] فذكر لفظة (مِنْ) الدَّالة على التَّبعيض وفي هذه الآية قال ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ولم يذكر كلمة (مِنْ) والفَرْقُ: أنَّ الذين يُريدون الثَّواب إنَّما اشتغلوا بالعبوديَّة لطلب مُجرَّد الثَّواب، فكانت مرتبتهم في العبودية نازلة، وأمَّا المذكورون في هذه الآية فإنَّهم لم يذكروا في أنفسهم إلا الذَّنب والقصور، وهو المراد من قوله: ﴿ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: 147] ولم يروا التَّدبير والنُّصرة والإعانة إلا من ربِّهم، وهو المراد بقوله: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: 147]، فكان مقام هؤلاء في العبودية في غاية الكمال، فلا جَرَمَ أولئك فازوا ببعض الثَّواب، وهؤلاء فازوا بالكُلِّ، وأيضًا أُولَئِكَ أَرَادُوا الثَّوَابَ، وَهَؤُلَاءِ مَا أَرَادُوا الثَّوَابَ وإنّما أرادوا خدمة مولاهم فلا جَرَمَ هؤلاء أعطوا خيرا من أولئك، ليُعْلَمَ أنَّ كُلَّ من أقبل على خدمة الله أقبل على خدمته كل ما سوى الله[1].

التَّفريق بين طالب الثَّواب المجرَّد وباذل نَفْسِهِ في خدمة مولاه محبَّة وتعظيمًا ورغبةً ورهبة

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإيتاء والإعطاء:

والإيتاء: أقوى من الإعْطَاء، إذْ لا مُطَاوع لَهُ، يُقَال: آتَانِي فَأَخَذته، وَفِي الإعْطَاء يُقَال: أَعْطَانِي فعطوت؛ وَمَا لَهُ مُطَاوع أَضْعَف في إثْبَات مَفْعُوله مِمَّا لَا مُطَاوع لَهُ، وَلِأَنَّ الإيتاء في أَكثر مَوَاضِع الْقُرْآن فِيمَا لَهُ ثباتٌ وقرارٌ، كالحكمة والسَّبع المثاني، وَالْملك الَّذِي لا يُؤْتى إِلَّا لذِي قُوَّة.

(1) الرّازي: مفاتيح الغيب: 9/382.

والإعطاءُ: فِيمَا ينْتَقل مِنْهُ بعد قَضَاء الْحَاجة مِنْهُ، كإعطاء كلّ شَيْء خلقه لتكرر حُدُوث ذَلِك بِاعْتِبَار الموجودات، وَإِعْطَاء الْكَوْثَر للانتقال مِنْهُ إِلَى مَا هُوَ أعظم مِنْهُ[1].

وذَكر الجزائريُّ أنَّ الفاضل النَّيسابوري ذهب إلى أنَّ الإعطاء أقوى؛ لأنَّ في الإعطاء دليل التَّملك دون الإيتاء. ووافقه على ذلك، وذَكر أنَّ آية الكوثر تُؤيِّده[2].

وذَكر سعد بن عبد العظيم أنَّ الإيتاء أقوى وأفخم من الإعطاء؛ يدلُّ على ذلك كَثرة إسناد (آتى) إلى الله تعالى، وقِلَّة إسناد (أعطى) إليه، فقد ورد الإيتاء 78 مرة. أمَّا (أعطى) فقد أُسند إلى الله تعالى 3مرات فقط[3].

الأجر والثَّواب:

الأجر ثواب وزيادة عوض. الأجرُ هو جزاء العمل الذي يكون فيه عَقْدٌ أو ما يجري مجراه، والشَّاهد أنَّك تقول ما أعمل حتى آخذ أجري ولا تقول ثوابي، أمَّا الثَّواب فقد اشتهر في الجزاء على الحسنات[4]، والأجر يُقال في هذا المعنى ويُقال في ما معناه المعاوضة بالانتفاع[5].

(1) الكفوي، الكليات، ص: 212.
(2) العسكري، الفروق اللغوية: 86، و87.
(3) سعد بن عبد العظيم، موسوعة الفروق القرآنية: 1/175.
(4) العسكريُّ، الفروق اللُّغوية، ص: 17.
(5) الزَّبيديُّ، تاج العروس، 10/25.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»